قصة قصيرة

عودة المنتظر

جاسم العطا

نزل خطيب الجمعة من المنبر، فجلس المصلون ينتظرون الإمام ليصلي بهم، وفجأة اعتلى المنبر رجل طويل القامة عريض المنكبين، متشحاً البياض، وبيده عصا معقوفة الرأس. استغرب الحاضرون من هيئته، فكأنه هارب من دولاب التاريخ، صاح بصوت جهوري:

ـ يا قوم... يا قوم اسمعوني!

أصاب الناس العجب وكثر التهامس بينهم، ومضى قائلاً:

ـ إني أرى الدولة العباسية عادت لتخلط وتعكر دماءكم، يا قوم إنني أرى القرامطة والباطنيين أشاعوا الفساد والخراب في دنياكم ودينكم، والسلاجقة والبويهيين ما زالوا يسملون أعينكم كما سملوا عيون المقتدر والمتّقي، واليوم عدت لأعيد مجدكم الغابر ولأقوم قوميتكم.

أصاب المصلّين العجب والدهشة مما يسمعون، فالأسماء كانت غريبة وشاذة لم يعد لها ذكر سوى في كتب التاريخ، حتى أن بعضهم ظن الأمر عبارة عن تصوير «فيلم» أو ما شابه ذلك، وقف أحد الحاضرين وتساءل بصوت مرتفع:

ـ من أنت؟ وماذا تريد؟؟

ـ أنا المنتظر السفياني بن أمية، جئت لأحصد رؤوس الباطنيين ولأحرث أحشاء من عبث بالمجد الذي صنعناه لأبناء قحطان وعدنان.

تقدم رجال الشرطة وهم يصيحون:

ـ اقبضوا على هذا المشعوذ... إنه مجنون!!

هاج القوم وماجوا واندفعوا نحو السفياني الذي ظل بمكانه ثابتاً وشامخاً، حاول كل من الحاضرين أن يمد يده ليمسك به، لكن مبتغاهم ظل كأنه مستور خلف جدار غير مرئي... هجر المنبر وسار بينهم غير عابىء بثورتهم وضجيجهم، أطلق رجال الشرطة النيران عليه، ولكن دون جدوى فقد أكمل سيره بثقة... تسمر الحاضرون بمكانهم دهشة بينما كان يتوارى عن أنظارهم... شق أحدهم شرنقة الاندهاش والاستغراب، وجرى خلف السفياني قائلاً:

ـ سيدي... انتظرني، أرجوك.

توقّف السفياني ليرى أمر مناديه، فلما وصل إليه الرجل، لحقهما رجال الشرطة قائلين:

ـ اقبضوا عليهما...

أمسك الرجل بالسفياني وقال لاهثاً:

ـ لنهرب... لنهرب قبل أن يدركونا!

* * *

رحب الرجل بالسفياني في بيته بطريقة عجيبة ومليئة بالارتباك، فعلى الرغم من أن السفياني بذل الكثير من الجهد لإقناع الرجل كما أنه أظهر له خاتم الخلافة والقضيب، فإن الرجل لم يتقبل الأمر بسهولة، وبصعوبة بالغة تلاشى أثر الصدمة، واستطاع السفياني أن يقنع الرجل بحقيقة شخصيته، وقد فرح الرجل لما وجد أفكاره وأمانيه متطابقة مع الهدف الذي أتى من أجله السفياني.

وبعد إطراقة طويلة دغدغت خلالها الأحلام نفس الرجل قفز فجأة قائلاً:

ـ أنا سأساعدك شرط أن أشاركك بالخلافة إذا نجحنا.

لزم السفياني الصمت ولم يجبه على طلبه، ولاحظ الرجل الحزن والخيبة تتسربان إلى ضيفه، وقبل أن يسأله، قال السفياني بلهجة شاردة:

ـ عجباً، أنت لم تصدقني إلا بصعوبة، وكاد العامة أن يفتكوا بي... لماذا؟ لماذا؟

فأجابه الرجل بثقة:

ـ سيدي؛ النكسات والخيبات المتتالية التي مررنا بها أوجدت ارتباطاً شرطياً بينها وبين الأمان المؤقت للفرد، لذلك يعتقدون أنهم ليسوا بحاجة لك.

ـ لكنني جئت لأنقذهم، كما أنني لست إنساناً عادياً.

ـ الحقيقة شيء والواقع شيء آخر، فالعملية المتسارعة بصعود وهبوط الشخصيات «الأركوزية» أدّت إلى عدم الثقة بأي شخص أو فكرة، فلسلامتك أنصحك بتكوين خلايا وتوزيع منشورات سرّية ومتدرجة الأفكار، فالأفكار الكبيرة تولد نتائج عكسية عند استقبالها.

وقف السفياني ثائراً:

ـ التقية ليست من طبعي، وسيفي سيتكفّل بالنتائج العكسية.

توجّه إلى الباب ليغادر المنزل، فحاول الرجل أن يقنعه بالبقاء أو مرافقته، لكنه لم ينجح سوى بالحصول على وعد منه بالعودة بسرعة لتناول الغداء معه.

* * *

خرج السفياني من بيت الرجل ومراجل الغضب تغلي في صدره، وكأنه كان مخططاً للمرحلة الحاضرة، فقد شهر سيفه وكسر غمده وسار وهو يزأر. فجأة أوقف أحد المشاة، فتوقف له الرجل خاضعاً، وحين شاهد الغضب يتطاير من عيني السفياني خرّ راكعاً ومتوسلاً بأن يتركه، فقطف السفياني رأس الرجل بضربة واحدة، فلما شاهد العابرون هذا المشهد ملكهم الذعر وولوا هاربين، لكنه لحق بامرأة وأمسكها من شعرها، فأخذت تصيح وتستنجد ولكن لا مغيث... وبضربة قوية قسمها إلى نصفين، ثم مسح سيفه بثوبها وسار بدربه دون معارضة بينما الناس يفرُّون أمامه كالفئران... فاستعر غضباً حين لم يجد أحداً يصدُّه، فالناس كانوا مدرَّبين على الخوف والهرب، بل إنهم أرانب متنكرة بأشكال بشرية، فقرر الذهاب لدار الحكم القريبة منه ليرفع من مستوى التّحدّي.

* * *

لما تأخّر السفياني استبدَّ القلق بصاحبه، فكان ينظر لساعته تارة وأخرى يفرك بكفيه حسرة، بينما يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً... واحتار ماذا سيفعل؟ وبدأت الشكوك والظنون تساوره وتتلاعب به المخاوف، هل يسأل رجال الشرطة؟؟ ربما اعتقلوه أو قتلوه؟؟ لكنه كان يغير رأيه إذ يتذكر بأن السفياني فوق مستوى البشر، وحين يتساءل عن مكانه، تعود التساؤلات إليه من جديد.

هبَّ مسرعاً حين سمع رنين جرس الباب... أذهلته المفاجأة لما فتح الباب... امتقع وجهه... تراجع للخلف بينما السفياني يتقدم إلى داخل المنزل، ولكنه دون عمامة أو سيف وملابسه ملطخة بالدماء، فسأله الرجل بارتباك وخوف:

ـ أين كنت؟ وماذا جرى؟؟

ـ أبحث عن رجال، فلم أجد إلا الخصيان.

ـ وما هذه الدماء؟ وأين عمامتك وسيفك؟

ـ عمامتي أعطيتها للخصيان ليستروا بها عورات نسائهم، وسيفي لست بحاجة له وسط الأقزام.

تمالك الرجل نفسه، وهز رأسه كأنه يحاول مقاومة النعاس، وقال:

ـ لم أفهم شيئاً!! لم أفهم!

ـ ذهبت إلى دار الحكم وقتلت الحراس، ولما دخلت وجدت «الهرمزان» يحكم، وبضربة واحدة جعلت رأسه عند رجليه، فسجد جميع الحاضرين لي.

فصاح الرجل فرحاً وهو يصفق بيديه:

ـ عظيم، نجحنا... نجحنا.

ـ بل فشلنا لأنهم سيسجدون لكل من هبَّ ودبّ.

الكويت

دار الآداب تقدم

الحبّ له صور
ليلى العثمان
صدر حديثاً

رؤوف وصفي
الحبّ... خارج الزمن
صدر حديثاً